الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي

(١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ / ١٧٠٣ ـ ١٧٩٢م)

تفسير آيات من القرآن الكريم

[من منشورات أنصار السنة المحمدية بلاهور بباكستان، وتوزيع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين بمكة المكرمة، في مجلد في ٣٩٦ صفحة، بتحقيق الدكتور محمد بلتاجي الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض]

الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي الحنبلي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة بجزيرة العرب، غني عن التعريف، فقد كتبت حوله مؤلفات وما لا يحصى من الدراسات، وأقيم منذ سنوات له بالرياض أسبوع تناول فيه عدد من الباحثين جوانب حياته، ومراحل دعوته، في محاضرات جمعت بعد ذلك في مجلدين، كما جمعت آثاره في مجموعة بلغت ستة عشر مجلداً بالفهارس.

ولد الشيخ رحمه الله ببلدة العيينة بنجد، ونشأ بها، ورحل مرتين إلى الحجاز، فحج وأخذ عن بعض أعلام المدينة. وانتقل إلى الشام فالبصرة واضطهد بها، فغادرها عائداً إلى بلده فسكن حريملاء، وكان أبوه قاضياً بها، ثم انتقل إلى العيينة ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيدالخالص، ونبذ البدع، وتخليص الإسلام مما علق به من أوهام. وناصره أقوام وخذله آخرون، إلى أن تلقاه أمير الدرعية محمد بن سعود بالإكرام، وناصره هو وآله من بعده، وقاتلوا من خالفه. واتسع نطاق الدعوة، فاكتسحت شرق الجزيرة،

ومناطق من اليمن، واستولوا على الحرمين الشريفين. قال الزركلي في الأعلام: كانت دعوته وقد جهر بها سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها اهـ. وتعرضت الدعوة بعدها للنكسة على يد المصريين بمؤازرة العثمانيين، ثم عادت بعد ذلك جذعة كما كانت وأحسن، فتفرغ علماؤها لها تأليفاً ومناظرةً وتدريساً أينما حلوا وارتحلوا، ولم يجد خصومهم ما يواجهونهم به إلا الأراجيف والأكاذيب، فجندوا العشرات من مقلدة الفقهاء ومرتزقة الصوفية للرد عليها، فلم يألوا جهداً، وكتبوا العشرات من الكتب التي سرعان ما خبا أوارها. وكان من ذلك نبزهم بالوهابيين نسبة إلى الشيخ، وشاعت التسمية وخصوصاً عند الأوروبيين. ومن أقدم من كتب عنهم منهم: ل.ا «تاريخ الوهابيين» طبع بباريس سنة ١٨١٠م بعد وفاة الشيخ ب ١٨ سنة. ومن افتراء خصومهم عليهم، جعل دعوتهم مذهباً مستقلاً جديداً في الإسلام، والواقع أنهم حنابلة أصولاً وفروعاً كما أعلنها الشيخ في غير مناسبة. وعمر الشيخ طويلاً إلى أن توفي بالدرعية، وأحفاده يعرفون إلى اليوم بآل الشيخ.

والكتاب المعرف به «تفسير آيات من القرآن الكريم» كتبه الشيخ مفرقاً في أثناء رسائله وكتبه، وهو فيه لا يأتي بنصوص الآيات كاملة اختصاراً، وإنما يشير إليها ويفسرها ذاكراً ما تنطوي عليه من فوائد وأحكام كعادته في كتاب التوحيد وغيره. وقد جمع بعض هذا التفسير وطبع ضمن بعض الكتب، وتكرر طبعه مجرداً عن تخريج الآيات والأحاديث، والتعريف بالأعلام كما في الجزء ١٠ من «الدرر السنية في المسائل النجدية». ثم جاء الدكتور محمد بلتاجي فأعاد النظر فيه معتمداً على مخطوطتين، وأخرجه في حلة علمية جيدة. وهو يتناول فيه تفسير ٢٤ سورة مع آيات متفرقة من سور أخرى.

ومنهج الشيخ المعتاد فيه يتوخى السهولة والتيسير، ويستبعد الأبحاث اللغوية والفقهية ونحوها، وإنما يستوحي نظم الآية وكلماتها، مستنبطاً منها ما شاء الله من مسائل وفوائد، قائلاً بعد الإشارة إلى الآية: فيها مسائل: الأولى كذا، والثانية كذا... إلخ قد تصل أحياناً إلى ما يزيد على الخمسين، وهو في كل

هذا همُّه الأكيد التركيز على جوانب التوحيد بأنواعه الثلاثة، وتجلية مواطن العبرة والعظة منها، لأن هذا رأس مال دعوته الإسلامية التجديدية التي ترمي إلى عودة المسلمين إلى القرآن يأخذون عقيدتهم منه، لا من علم الكلام وأساليب منطق اليونان.

وهذا نموذج من كلامه من سورة يونس، وقد اخترته متوسط الطول، لأن كلام الشيخ في التعبير يطول أحياناً جداً:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ . . . فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾، فيه ثماني حالات:

الأولى: ترك عبادة غير الله مطلقاً ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل، والإخافة الثقيلة كما جرى لسعد مع أمه (يشير إلى قصة سعد بن أبي وقاص مع أمه التي أخرجها مسلم في صحيحه في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت/٨]. قال سعد: كنت باراً بأمي فأسلمت، فقالت: لتدعَنَّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي، ويقال: يا قاتل أمه، وبقيتْ يوماً ويوماً، فقلت: يا أماه، لو كانت لك مائة نفس فخرجتْ نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، ونزلت هذه الآية، راجع التفسير الكبير اهـ، من هامش الأصل بتصرف قليل).

الحال الثانية: إن كثيراً من الناس إذا عرف الشِرْك وأبغضه وتركه، لا يفطن لما يريده الله من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته، فذكر هذه الحال ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾.

الحال الثالثة: إن قدرنا أنه ظن وجود الشِرْك والفعل منه، فلابد من تصريحه منه بأنه من هذه الطائفة، ولو لم يقض هذا الغرض إلا بالهرب من بلاد كثير من الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم.

الحال الرابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين، والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين.

الحال الخامسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع، فكان لابد من مذهب ينتسب إليه، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية وترك كل مذهب سواها، ولو كان صحيحاً، ففي الحنيفية عنه غنية.

الحال السادسة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس، فلابد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم.

الحال السابعة: إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست، فقد يدعو من قلبه نبياً أو غيره لشيء من مقاصده، ولو كان دينه يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصاً عند الخوف أنه لا يدخل في هذه الحال.

الحال الثامنة: إن ظن سلامته من ذلك كله، ولكن غيره من إخوانه فعله خوفاً أو لغرض من الأغراض، هل يصدق الله إن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين؟ أو يقول: كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك، وما أعز من يتخلص من هذا، بل ما أعز من يهمه وإن لم يعمل به، بل ما أعز من لا يظنه جنوناً، والله أعلم اهـ، صفحة ١١٣.

مصادر الترجمة

- مجموعة محاضرات أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرياض.
- الأعلام للزركلي (٦/٢٥٧)، ط. رابعة وما ذكر من مصادر.